

تفسير القرآن الكريم

١٦ سورة الحجر ١-٩-١٤٠

دراسات الأستاذ:
مهدي الهادي الطهراني

سورة الحجر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ
(١)

سورة الحج

رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا
مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾

سورة الحجر

ذُرُّهُمُ يَأْكُلُوا وَ يَتَمَتَّعُوا وَ يُنْهَمُّ
الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾

سورة الحجر

وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا
كِتَابٌ مَعْلُومٌ ﴿٤﴾

مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا
يَسْتَأْخِرُونَ ﴿٥﴾

سورة الحجر

وَ قَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ
الذِّكْرُ إِنَّا لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾

سورة الحجر

لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَأِيكَةِ إِن كُنْتَ
مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٧﴾

سورة الحجر

مَا نُنزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَ
مَا كَانُوا إِذَا مُنظَرِينَ ﴿١﴾

سورة الحج

إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ
لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾

سورة الحجر

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِبَعِ
الْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾

وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا
بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١١﴾

سورة الحجر

كَذَلِكَ نَسُئُكَ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ
(١٢)

لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَ قَدْ خَلَتْ سُنَّةُ
الْأَوَّلِينَ (١٣)

سورة الحجر

وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ
فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾

لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ
نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾

سورة الحجر

وَ لَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَ
زِينَاتٍ لِّلنَّازِحِينَ ﴿١٦﴾

سورة الحجر

وَ حَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ
(١٧)

إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ
شَيْهَابٌ مُبِينٌ (١٨)

وَ حَفَظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ

• و قوله «وَ حَفَظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ» يحتمل ان تكون الكناية راجعةً الى السَّمَاءِ، و الى البرُّوجِ. و حفظ الشيء جعله على ما ينفي عنه الضياع، فمن ذلك حفظ القرآن بدرسه و مراعاته، حتى لا ينسى، و منه حفظ المال بإحرازه بحيث لا يضيع بتخطف الأيدي له،

• **و حفظ السماء من كل شيطان بالمنع بما أعدَّ له من الشَّهابِ.**

• و الرَّجْمُ بمعنى المرجوم، و الرجم الرمي بالشيء بالاعتماد من غير آلة مهياة للإصابة، فإن النفوس يرمى عنها و لا ترجم.

لَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا

• قوله تعالى: «وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ
 بُرُوجًا وَزِينًاهَا لِلنَّاظِرِينَ» إِلَى آخِرِ
 الآيات الثلاث البروج جمع برج و هو
 القصر سميت بها منازل الشمس و القمر
 من السماء بحسب الحس تشبيها لها
 بالقصور التي ينزلها الملوك.

وَ حَفْظُهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ

• و الضمير في قوله: «و زيناها» للسماء كما في قوله: «و حفظناها» و تزيينها للناظرين هو ما نشاهده في جوها من البهجة و الجمال الذي يوله الألباب بنجومها الزاهرة و كواكبها اللامعة على اختلاف أقدارها و تنوع لمعاتها و قد كرر سبحانه ذكر هذا التزيين الكاشف عن مزيد عنايته به كقوله: «و زينا السماء الدنيا بمصابيح و حفظاً»: حم السجدة: ١٢ و قوله: «إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب و حفظاً من كل شيطان مارد، لا يسمعون إلى الملأ الأعلى و يقذفون من كل جانب دحوراً و لهم عذاب و أصب إلا من خطف الخطفة فاتبعه شهاب ثاقب»: الصافات: ١٠.

إِنَّمَا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ

- و قوله «إِنَّمَا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ» معنى (الا) (لكن) فكأنه قال: **لكن من استرق السمع من الشيطان يتبعه شهاب مبین**. قال الفراء: أى لا يخطئ،
- و قال المفسرون: قوله «إِنَّمَا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ» مثل قوله «إِنَّمَا مَنْ خَطَفَ الْخَطْفَةَ» «١» و معناه معناه،

إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ

• و الاستراق أخذ الشيء خفياً، و ليس طلبهم استراق السمع مع علمهم بالشهب خروج عن العادة في صفة العقلاء، لأنهم قد يطمعون في السلامة من بعض الجهات،

• و الشهاب عمود من نور يمدّ لشدة ضيائه كالنار و جمعه شهب. و قال ابن عباس: بالشهاب يخبل و يحرق، و لا يقتل. و قال الحسن: يقتل

إِنَّمَا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ

• قال ذو الرمة:

• كأنه كوكب في إثر عفريّة
مسوم في سواد الليل منقضب «٢»

• و الاتباع إلحاق الثاني بالأول، أتبعه اتباعاً، و تبعه يتبعه إذا طلب اللحاق به، و كذلك أتبعه اتباعاً بالتشديد «مبين» أي ظاهر مبين.

إِنَّمَا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ

• و قَالَ الْفِرَاءُ: قَوْلُهُ «إِنَّمَا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ» اسْتِثْنَاءٌ صَحِيحٌ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَحْفَظِ السَّمَاءَ مِمَّنْ يَصْعَدُ إِلَيْهَا لِيَسْتَرِقَ السَّمْعَ، وَ لَكِنْ إِذَا سَمِعَهُ وَ أَقْبَاهُ إِلَى الْكَهَنَةِ اتَّبَعَهُ شَهَابٌ مُبِينٌ،

إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ

• فأما استراقهم السمع، فقال المفسرون: إن فيهم من كان يصعد السماء فيسمع الوحي من الملائكة، فإذا نزل إلى الأرض اغوى به شياطينه أو ألقاه إلى الكهان، فيغنون به الخلق، فلما بعث الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم منعهم من ذلك، و كان قبل البعثة لم يمنعهم من ذلك تغليظاً في التكليف.

إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ

• قال الزجاج: والدليل على انه لم يكن ذلك قبل النبي ان أحداً من الشعراء لم يذكره قبل بعثه النبي صلى الله عليه و سلم مع كثرة ذكرهم الشهب بعد ذلك.

إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ

• و استراق السمع أخذ الخبر المسموع فى خفية
كمن يصغى خفية إلى حديث قوم يسرونه فيما
بينهم، و استراق السمع من الشياطين هو محاولتهم
أن يطلعوا على بعض ما يحدث به الملائكة فيما
بينهم كما يدل عليه ما تقدم آنفا من آيات سورة
الصافات.

إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ

• والشهاب هو الشعلة الخارجة من النار و يطلق على ما يشاهد في الجو من أجرام مضيئة كان الواحد منها كوكب ينقض دفعه من جانب إلى آخر فيسير سيرا سريعا ثم لا يلبث دون أن ينطفئ.

إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ

• فظاهر معنى الآيات وَ لَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ - و هي جهة العلو - بروجاً و قصوراً هي منازل الشمس و القمر و زيناتها أي السماء للناظرين بزينة النجوم و الكواكب و حفظناها أي السماء من كل شيطان رجيم أن ينفذ فيها فيطلع على ما تحويه من الملكوت إلا من استرق السمع من الشياطين بالاقتراب منه ليسمع ما يحدث به الملائكة من أحاديث الغيب المتعلقة بمستقبل الحوادث و غيرها فإنه يتبعه شهاب مبین.

إِنَّمَا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ

- و سنتكلم إن شاء الله في الشهب و معنى رمى الشياطين فيما سيأتى من تفسير سورة الصافات.

إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ

• (كلام فى معنى الشهب)

• أورد المفسرون أنواعا من التوجيه لتصوير استراق السمع من الشياطين و رميهم بالشهب و هى مبنية على ما يسبق إلى الذهن من ظاهر الآيات و الأخبار أن هناك أفلاكا محيطه بالأرض تسكنها جماعات الملائكة و لها أبواب لا يلج فيها شئ إلا منها و أن فى السماء الأولى جمعا من الملائكة بأيديهم الشهب يرصدون المسترقين للسمع من الشياطين فيقذفونهم بالشهب.

إِنَّمَا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ

• وقد اتضح اليوم اتضاح عيان بطلان هذه الآراء و يتفرع على ذلك بطلان الوجوه التي أوردوها في تفسير الشهب و هي وجوه كثيرة أودعوها في المطولات كالتفسير الكبير، للرازي و روح المعاني، للآلوسي و غيرهما.

إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ

• و يحتمل - و الله العالم أن هذه البيانات في كلامه تعالى من قبيل الأمثال المضروبة تصور بها الحقائق الخارجة عن الحس في صورة المحسوس لتقريبها من الحس و هو القائل عز و جل: «و تلك الأمثال نضربها للناس و ما يعقلها إِلَّا الْعَالِمُونَ:» العنكبوت: - ٤٣.

إِنَّمَا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ

- و هو كثير في كلامه تعالى و منه العرش و الكرسي و اللوح و الكتاب و قد تقدمت الإشارة إليها و سيجيء بعض منها.

إِنَّمَا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ

• و على هذا يكون المراد من **السماء** التي تسكنها الملائكة **عالمًا ملكوتيًا** ذا أفق أعلى نسبته إلى هذا العالم المشهود نسبة السماء المحسوسة بأجرامها إلى الأرض،

إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ

• و المراد باقتراب الشياطين من السماء و استراقهم السمع و قذفهم بالشهب اقترابهم من عالم الملائكة للاطلاع على أسرار الخلق و الحوادث المستقبلية و رميهم بما لا يطيقونه من نور الملكوت، أو كرتهم على الحق لتليسه و رمي الملائكة إياهم بالحق الذي يبطل أباطيلهم.

إِنَّمَا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ

• و إيرادہ تعالیٰ قصۃ استراق الشیاطین
للسمع و رمیہم بالشہب عقیب
الإقسام بملائکۃ الوحی و حفظہم
إیاءہ عن مداخلۃ الشیاطین لا یخلو
من تأیید لما ذکرناہ و اللہ أعلم.